عبّاس بيضون

الحِداد لا يحمل تاجاً

دار الساقي

إلى نجلا أختي

قبور الشعراء

أنا شبه أب
أضيف السلاحف للعائلة
وأترك البلابل تحبل من الكتب
أربط السيد العجوز في المقدمة
أضع بدل أسنانه صفّارات
الثقوب التي أدسها في عينيه
ستزهر وتتكلم على بلاط الشهداء
ماذا تفعل أيها المعزف الثقيل
بالأرواح التي تعربد في فنائك
ماذا تفعل بالأسنان الجديدة
التي تطلع في شقائقك
لن يكون هناك عشب كافٍ للرسائل
لا تراب يكفي للقصائد
ولا ريح لحمل هذا النعي إلى الأطراف
يظلّ هناك أشخاصٌ ليجمعوا الرماد
والريش
والرؤوس التي بقيت من العشاء
أنا شبه أب
لكني أيضاً شبه شاعر
بعت روحي وجناحي الأيمن
بساعة طيران واحدة
الأسنان التي تتذهّب فجأة
والابنة التي تغني للسلحفاة
لا تحمل الريح سوى الصفير.

شامة

علبة في الغيم
ثقب في القمر
وشامة على خدي
حيث يمر الليل
ويترك إبرته هناك
أسكن خنصرك يا سيدتي
وأسقط من بين رموشكِ
حياتي لن تدوم أكثر من فراشة
حيث البرق الذي يصل بين منارتين
يطبع اسمي على كاحلكِ
حيث المطر الذي يزرع خيطانه على سطوح البحار
يحبسني في قطره
حياتي لن تدوم أكثر من فراشة
حيث الصباح الذي فقدناه تحت الدالية
ينوس من تعذيب العين
التي قتلته بنظرة
أرقد في ياقتي،
وحيث أغني للدقائق
وأحمل الساعات إلى المقبرة
أسكن في ربلة ساقٍ خائنة
وموبايل يودّعني كل مساء
بطرقتين على قلبي
أدير رأس السنة
هذا الحجر سيكون مقروحاً في الغالب
ولن يعرف أحد
أن الصيف الذي يملأ الشامة
قد انتهى.

أخرجُ من عيني

أَخرُجُ من عينَيَّ
بصري الذي يجرف كل شيء
إلى ثقبه الأسود
يعود كشفرة إليّ
ويقصّ رؤوس الأشياء حتى الكتفين
ويجعلها حدباء أمامي
لأن هذا الجمال الوقح
كثير على قلبي
أَخرُجُ من وجهي
أرفع غطاء صندوقي
وألبس مومیائي
أَخرُجُ من ركبتي
مكتبتي ومنامتي
أُخرِجُ وتراً من عنقي
وعلى ذراعي تربتي الملتهبة
أُخرِجُ من ركبتي
نصف كتاب
أُخرِجُ من عيني
عيناً على عين
كفناً على كفن
أقمطه المومياء
كرسي العمى
وقمصان الانتحار
أسناني التي نجت وحدها
أبذرها في الحدقات الشاغرة
أتوسّد ركبتي
وأستيقظ جسماً ناقصاً
وعينين وحيدتين
ولا يمكنني مع ذلك
أن أضيف حرفاً أعوج
في بوابة الظلام.

قلّامة ضرس

الضرس الذي بدأ في الصراخ
في الظلام بعد العاشرة
حيث تنام بوداعة
أسنان من الجلاتين
أسنان من القطيفة
ويمكن استعمالها كوسائد
في ذلك الصالون الدائري
الذي يتساقط فجأةً
عندما يكون كل هذا الألم
من قلامة ضرس
عندما تتواصل الطاقة
الفظيعة في الجسم الكبير
الذي لا يتوقف عن إرسالها
وحيد ولست الآن
سوى السِّقط الذي يتشكّى
وحيد في الجسم الذي
كلما ضربه الألم
ازداد وحشة
دون أن ينبح حتى
للظلام.

تمثال

الرجل الذي يشرب من القنينة تحت سقيفة الدكان،
لم يأتِ من الحيّ. دار كثيراً حتى وصل
كان يشرب على مهل ويدير قنينته في وجوهنا. ينظر
من تحت حاجبيه المقرونين ويقصّرنا جميعاًبنظرته.
لم نعرفه لكنه يشبه شخصاً غريباً، يشبه اسماً غريباً
لم يلتفت حين فاجأناه من الخلف. لم يلتفت أيضاًحين
فاجأناه من الأمام ولا حتى حين غرسنا الخنجر حتى مقبضه
في عنقه
أراد أن يكون شهيدنا. يلزم لذلك صور كثيرة،
وحيطان بشوارب وحواجب مقرونة، وربما ينبت
تمثال في الحديقة من بذرة موز
أحدنا بسبب ذلك افترض أنه خدعنا، وليعرف
من هو، أدخل سكينه في محجره واقتلع عينه
كان قد مات. لم يبتسم ولم يلتفت ولم
يحيّ زائريه، ونحن الذين صرنا نعرفه،
أوجدنا له اسماً: "فقيد العين الواحدة"
مع ذلك كنا شامتين وذلك التمثال الذي
نبت من السكين المرميّة لم يكن له رأس.

الليلة الأخيرة

جاؤوا لليلة الأخيرة
ليس واضحاً أنها ستكون ليلة مَنْ
مَنْ الذي تتم دعوته أولاً
ومن يبدأ بنقش اسمه
على حَجَرها
الكرسي الذي يطلّ على الشارع
ليس سوى قرص من الشوفان
نام عليه العملاق
الذي لم يبقَ في معطفه
سوى القفص الصدري الخاوي
والموت الواقف فوق الشعر المستعار
لم يبقَ سوى عظام يديه
مطبوعة على الجيلاتين
أما المعطف الذي كبر
من عينين مرميتين
ومن حبة أرز
ومن الموت الذي مرّ كالخيط
بين الأسنان
فسوف يجيء مع المدعوين
لليلة الأخيرة
التي لا نعرف في أي ليلة
وبأي اسم
سوف يسقط حجرها.

العدو

أطبع وجهي في الحجر
وجهي الغائر
ووجهي الذي خرج منه
يتطلع وراءه بغضب
جمجمتي قفص العظام الصغيرة
ورأسي الذي سقط منها
يتصايحان على الضفة
وتلك القبعة الطافية فوق البئر
عدوي الذي ينظر إليّ من الأسفل
وجهي المصبوب في الآجرّ
ينتظر من يموت أولاً
عدوي ينظر إليّ من الأسفل
على كتفي قروح
وحروق مطفيّة
يطلع منها ساق أضاليا
ومن الوشم الذي بقّع خدي
تطلع وردة الشيطان
النوم يتمدد في عظامي
لكن النور الذي يصفع وسادتي
يحرقه كلما عَبَر
سرٌّ في الحفرة وسرٌّ في الأعالي
الله سيولد في ساعة
سيخرج من بين القبور
الشيطان سيبقى على فم الوردة
والجندي الذي في القاع
سيبقى على فم البئر
وسيشتري حربه الخاصة
ويدفنها تحت البلاط
عدوي ينظر إلى الأسفل
عدوي الغائر الذي له رأسي
يحلم داخل الحفرة
بعودة الآلهة

ونهاية الصيف.

تفّاحات

هناك تفاحة ستسقط بعد قليل
انتظرنا ذلك البارحة
موعدنا لم يكن الآن
القدر الذي لم يحن
سبقنا بوقت قصير
القدر الذي أدمانا
لم يكن جاهزاً
لقد سقط تفاح كثير على طريقنا
للذكرى
ليلي الصغيرة هدية السنة
تصنع من أصابعها تفاحة، للهواء
نسميه تفاحة ذلك الفتى
الذي صادفناه تحت الأغصان
كانت الدراجة أيضاً ميتة جنبه
لقد راكمث ألماً سابقاً
لكن الحب يحتاج إلى مزيد من العمر
الحب يقتل كل سنة طيراً
الحب يكسر كل سنة جناحاً
انتظرَ في الحفرة
أن تسقط تفاحة
في الموعد
انتظرَ وهو يغمض عينيه
أن تسبقه إلى الحفرة
بعد ستة عقود تعود التفاحة
مظلمة وبلا عينين
لقد انطفأت على عمق ستين ذراعاً
على عمق ستين سنة
تكلّست سنة سقوطها
صارت سنة بعد السقوط
الفتى الذي سقط من شجرة بيته
لم يكن عمود البيت
لم يكن سقفه

لم يكن أيضاً تفاحة
كان فقط ساهراً فوق الأغصان
كان عيناً في وسطها
كم سنة دارت حتى لم يعد
هناك وسط للبيت
ولا عين للشجرة
ماذا تفعل أيها الباحث عن تفاحاتك الضائعة
هل تدفن ذكرى
مكان كل واحدة
هل تدفن دراجة
في كل حفرة
هل تجد قدَراً مكسوراً تحت كل سنة
هل تجد السنة التي تحجرت
منصوبة كالقِدْر
هل تجد عمراً كافياً
لتنتقل إلى الشجرة الأخرى
لتجمع تفاحاتك من تحتها
كم بقي لك لتسهر على تفاحاتك
لتكلمها على عمق ستين عاماً
كم بقي لك لتجرها إلى حفرة
لتغفو جنبها
ولتسقط أيضاً من ضربة جناح
ومن سنة طائرة.

ليس صحيحاً

ستقول إن الحَبْل ليس حقيقياً
وليس حقيقياً أنه انقطع
وسقطت عنه طوابق كثيرة
ليس صحيحاً أن حياة كاملة
انقضت فوقه
وأن غيمة في صورة باشق
نقلتها إلى الخلف
ليس صحيحاً أن القادمين من هناك
أرباع الشجر
والأحجيات التي تنبت كعشب مجنون
بين الأحجار
لن تزداد انغلاقاً
في الهواء
ليس صحيحاً أن الكلمة تحيي
وأن الرجل الذي رمى ظله فوق الجدار
لم يكن سلّماً على الحائط
ولم يكن ليطول تحت التراب
ليس صحيحاً أن الضحكة تشفي
وأن القهقهة تبقى تدوي في الجبل
بعد أن تنتهي الأكذوبة ويصمت المكان
أن روحاً ضالة
تفشي الأسرار
وفرية واحدة تمزق الستائر
ليس صحيحاً أنّ ثمة شيئاً وراء الكهف
وبعد الذئب
الذي أكل النبيّ
أن ما يُتوارث
ليس إلا حصّة الدم
وقبعة المالك
الحقيقة ليست أكثر من جيب
إنها فقط مؤامرة على السماء
كتيبة من النمال تجرّ صندوق الويسكي

إلى حيث يعدّون النجوم والأرواح
ليس صحيحاً أن الحبل مجرّد عدد
والحفرة هي الميزان.

ما الذي يُضحك في هذه القصيدة

ما الذي يضحك في هذه القصيدة
إننا نؤدي درهماً عن كل يوم
وكل خطوة
فضلاً عن وجبات أسناننا
والدويبات التي تبيض في مسامنا
للسماء عملتها أيضاً
المطر والطقس وحتى الزلازل
مدفوعة سلفاً
الحياة ليست مجاناً
صلاة واحدة
عن كل خسارة
هكذا نبدأ النهار بخيانة
بغلطة صغيرة كسقوط تفاحة
أو كنزول الثلج
وإذا استدنت من الله عمراً ثانياً
فبأي قطع تردّه
ما الذي يضحك في هذه القصيدة
الله وهو يلعب بالفصول
ثمة مصرف للريح
صندوق للنجوم
جريمة لا تملأ فنجاناً
ثمة موت صغير
يَقتلُ في المهد
العناصر تتسول من بعضها
الموت قطعة نقديّة
للسماء عملتها أيضاً
ثمة أرنب وسط العشب
سيجارة بقي رمادها
على الطريق
ثمة ملاك يموت في صدرك
كلما قطعت الشارع
ما الذي يضحك في هذه القصيدة.

الضريح

الحرب التي عادت
لم تبرد بعد
قد تكون ذكريات حامية
نقلتها إلى هنا
قد تكون خرجت من المتحف
الهواء لا يزال مصعوقاً
وجامداً
الحيطان شبحية وبلا ظلال
الضريح شاهق لكن فارغ
فالأرجح أن القتلى غادروا
الكلاب تدور حوله
دون أن تنبح
الصمت ساهر ومصفَّد ومتنبّه على الدوام
لا نعرف في أي سنة نحن
ولا في أي تاريخ ارتحلنا إلى هنا
ولا من وضعنا في هذا المحبس
امرأة تأتي من حرب سابقة
وتختفي في الهيكل
حروب سَبُعٍ تتصارع
بأعلامها ومارشاتها
وبخيانة واحدة
تنوّر الضريح
إذ كان يسهل اجتياح سبع عواصم
بأكذوبة واحدة
أو كان يسهل تصفيد الشهداء
وإرسالهم مقيدين إلى العاصمة
بقطعة من نشيد
إذ الموتى يباعون قبل أن يوزنوا
وقبل أن يساموا
أو يغدوا بلا مأوى
امرأة تخرج من الضريح
وعلى وجهها دمغة

ثمة ريح تمحو العهود
وما يبقى ليس سوى ميثاق الرمل
الموتى يتكدسون في الأسفل
أكذوبة تصفر على وجوههم
تسميهم وتنشرهم في الخارج
أو تنقشهم على الجدران.

زليخا ومارلين

من قلب البئر صعد صوتي والذئب الذي سمّوه لي سمعني وهرب
القميص الذي بلّلوه بدم كاذب أعشى عينيْ أبي
هل كان البئر حقيقياً؟ هل كان القميص حقيقياً؟
هل صدَقت الصحراء؟ هل صدَق الذئب؟
ما الذي كان ينتظرني عند فم البئر؟
على طريق الأنبياء إلى الصحراء
في مجلّد قديم وجدت أنا الشاعر بلاطاً وسجناً
الجميلة التي أحبت يوسف وقطّعت أصابعها من أجله
ليس أقل من دم حقيقي هذه المرة ليس أقلّ من قميص حقيقي
أنا الشاعر لا أجد دماً لقصيدتي، بريت أصابعي لأكتبها
وجدت زليخا في مخيم للاجئين تحمل مكواة حامية
أحرقت أصابعها وقرّحتها
صورة أخيها الميت معلّقة على الحائط
أنا الشاعر أعرف أنها نزفت من يديها، وهي تجلي، فوق الصحون
جمالها مطموس في أسمالها
أفكر الآن بمارلين مونرو التي انتحرت من شقاء العالم
وصعوبة الحب
أشرقت على ملايين غادروا الصالات وعادوا إلى أعمالهم
قالوا إنها مختلّة وانتظروا أن تنضج لتستحقهم
أنا الشاعر لست كحافظ ولا سعدي ولا المتنبّي ولا جلال الدين الرّومي
أولئك تطلعوا إلى ما يجعلهم أعلى من أنفسهم
اتصلوا بالكون عن طريق الحب، وسمعوا بالنجوم عن طريق الحب
الشعراء اليوم مساجين في غرف الآلات
هم وحدهم ونساؤهم من ورق
العالم ينتكس، وأنفسنا تنتكس معه، تنظر فقط إلى أدنى منها
ثمنها الوحيد هو الموت، الانتحار من أجل لا شيء، في عالم لم يعد له سعر
زليخا في البلاط انتظرت شيئاً أعلى من تاج، شيئاً أكثر من ملك
يوسف الذي لم يأكله الذئب ولا الصحراء رأى ما وراء النجوم
زليخا بأصابعها المقطوعة، المزهرة والمضيئة، لامست السماء
ماذا تفعل أيها الشاعر العجوز، أنت الذي لا يقطفك أحد
حتى متى تنتظر زليخا
لقد واكبت مارلين إلى القبر

وعما قريب، في مكان آخر، ستقع في الحفرة
دون هدف، لن يخرجك أحد من البئر
إنه موعدك مع اللّاأحد.

سرّ

قلنا إنه طيب وودود
وليس عبثاً أنه سقط
لو كان معدناً، لعاش أكثر
لو كان تمثالاً، لبقي منصوباً
لو كان برجاً، لأمكن تغييره
كلمة الخلود لا تسعف أحداً
لكن يمكن أن نبادلها
بنصف مسمار
أو فنجان من ملح
وماء كثير، كثير
يسقط مطراً أو دمعاً
لو كانت السماء في صدره،
لسمعه الله
لو كان ياقوتة، لبقي أحمر
لا نعرف إذا كان الميت العائد يسمع
لا نعرف بالضبط ما هو صوته
إذا كان لا يزال هو نفسه
لقد ملأ ذات يوم ملعقة بحمل من كلام
ملأها أيضاً بقدر هائل من الأعداد
وبالتأكيد سيمسك هذه المغرفة
وسيجلس بين الغافين في المقهى
دون أن يفعل شيئاً
ينبههم إليه
ودون أن يوافق على كلمات التأبين
الذي دهسه سيكون قريباً
ولن يوافق أيضاً
ما جرى كان فوق الفهم
ولن يُكشف سرّه
إذا كان له سرّ أصلاً
الكلمات الكبيرة التي تذوب
لن تحيي
التماثيل ستكون نتيجة هذا العجز

ليست بيوتاً ولا قبوراً
مع أنها فارغة من الداخل
الأبراج لن تفكّر
لكن تبقى بريئة في الأعلى
نحن الفانين
الشعراءَ الفانين
لا نعرف من أيّ تعب أتينا
وأيّ تعب سوف نترك في العالم
لن يُكشف لنا الغطاء
فنحن لسنا خالدين ولسنا أحجاراً.

جنينة آدم

اسمي مخطوطاً بعظام صغيرة
اسمي مع شيء من لحم الموتى
خارجاً من الكهف مع ثقب في الوسط
أحاول أن أدسّ فيه
حذائي الضخم وخرقتي
أن أرمي سمكة في عينيه
أجرّ ورائي معطفي ذا الجيوب الكبيرة
قطعة حبْل
وحدها التي بقيت لي من بيتي
قطعة حبل وعملة معدنية
وعلبة كونسروة وإبرة بخيط
صورتي، قبل أن أرميها
مدمىً ومغطىً بالضمادات
هكذا استدرت عن المعركة
استدرت عنها أيضاً
حين ضمّدت حذائي قطّعت هويتي
ظلّي مقطّعاً أيضاً في أرض الفنجان
المقطع على أرض الشرفة
أضفت إلى ذلك سلسلة الأموات
التي تمددت في سطر غير منقّط
من الأبرياء الذين سقطوا عنها في الطريق
انفجارات حنين وقلوب مكويّة
وأسنان كبيرة تحت الكلمات
ماذا تفعل
إذا لم يعد في الشارع سوى هذه الممسحة
إذا لم يعد سواها
نقطة على هذا السطر
لا يعود مرئياً غير هذه الحفرة
وعليك أن تلقي فيها الضمادات
الملمومة من آخر معركة
والأحذية المتروكة على الصحراء
عليك أن تضيف ملاكاً

إلى الخردة الباقية
أن تدسّ فيها أزراراً وأسلاكاً
وأرواحاً فاسدة
أن تعيد صناعتها بالكذب الصافي
بالريح الكاملة،
بدم الشيطان
إذ عليك أن ترتفع بجناحيك
أن تقف تحت الساعة
وقدرك بين حاجبيك
لن تكون هارباً
إذا نزعت اسمك المضمّد
من جيوبك الكبيرة
إذا نزعت عن رأسك
القبعة التي كانت هويتك في يوم
إذا رميت في الحفرة عباءة جدّك
المسألة كلها
الأسماء التي نسيتها
وأحذية الهاربين الباقية
من آخر المعارك
الأسماء المقطوعة الرأس
والهويّات المقدّمة كأطباق
وآخر شاهد على نشأتي
في القلاع وبين الحيوانات الضاربة
وأصحاب اللحى النادمين
وأهل التوبة
وكل من يوزن بالتراب أو الدم
الآن نعرف أن كل ذلك حدث في غيابنا
الذي ترك بقعاً في كل مكان
ترك تواريخ وحطاماً وأساطير أيضاً
لا أحد الآن إلا من لا أحد الأمس
ولن يكون غداً سوى لا أحد
الشهداء يختفون أولاً
إنهم يصدرون عن الأب الكبير
الذي لا يورث ولا يلد ولا يتكلم
هذا الفاغر الذي يشعر باستمرار

أننا نرمي فيه سمكة
أو نصعد إليه
على كتف ملاك
ازرع في هذا الغيب بذرة
أيّ كلمة وأيّ سطر
أنت في جنينة آدم
وستكون هذه هويتك
أمام الفراغ
ستكون جثمانك أيضاً
الكلاب أيضاً بلا سرير
والبيوت ليست قمصاناً
والكلمات قمح الموتى.

دقائق من النور

بقيت لي دقائق من النور
لن تقعي أمامي
لا أريدك أن تختفي اليوم أيضاً
لا أريدك أن تظهري شبحاً
هناك فقط دقائق
لن أعود إلى ذلك المكان
لن تغريني هذه الشجرة
التي ستمتلئ بعد قليل بالغربان
لن أصغي بعد
الرسالة نفسها تتوقف في الوسط
لا أعرف لغة السماء
لا أعرف متى تصل المرثية
متى تهبّ العصافير من المخلاة
متى تطير الأرقام إلى الأرض
هل تبقى السنوات معلقة في سقف العالم
هل نجد النبوءات مطحونة على الضفاف
أسماء مهولة
تتكرر بمزيد من العواصف
أسرار واقفة على القوس
قوس قزح ملتهب لا يعبره أحد
دقائق تتحطّم بدويّ
لن تكوني بتول هذه الساعة
لن أنتظر حتى يقع الوقت منكِ
تقاطعات مخيفة
مربعات كالأقفاص
وفقط
جدران مفخّخة
مزيد من الأشياء التي تسقط
من الآيات المغدورة
مزيد من الحقائق النائمة
دقائق من النور في فقراتي
أشعّ حتى تطويني الظلمة

وتواريني الأرض
ستكونين لي
لكن على أيّ حجر ندور
على أيّ قوس نتحد
أكون قفصكِ وتكونين لؤلؤتي
نرقد عامين إضافيين في حدائق المرجان
في ريح الغرب
أستدعي السنين وأطعمكِ منها
أطرد الوقت عنها
وأطعمكِ منه
ليس لي أن أعود إلى ذلك المكان
حيث تقاطعنا
المكان الذي نام بيننا
سنيناً حتى يستدير الجمال
حتى تقفّي الظلمة
حتى يخلو العشّ
سنين مطرّقة لنتصلّ عليها أو نفترق
ماذا أمام النور سوى الغبار
ماذا بعد الظلمة
غير الخلاء
ماذا يتسقّط من الوحشة
ماذا يبقى في حجرة الصيف
ماذا بعد الجمال
سؤال يتحول رماداً
لا الصمت ينزف
ولا الكلام
لو أنتِ معي، لكنت أجمل من محتضرة
لو أنت معي،
لكنت أقرب من شبح
لو أن ما بعدكِ أكثر من غياب
لو نفترق بحجر آخر من الألم
لو أنه مجرد جرح
لو كان الموت شفافاً كالحب
لو نترك خلفنا أكثر من الوقت
لو أن ما بعدكِ أقرب من خطوة

لو أننا نبذر في الريح
لو أننا نبذر في الصمت
لو أنّ جنينة في ما بعد الحياة
لو أمكن أن يعاد زرعنا
في وادٍ آخر
فقط دقائق من نور
ولن أعود إلى ذلك المكان
دقائق من نور
لا تطيق نوراً يسقط عليها
لا تأتيها العتمة لكن تتبدّد
في الضوء والخفاء
ليست أسراراً
لكن رسائل للهواء
ليست شموعاً لكن أعداداً
تختفي في الشمس
متى تصل المرثية
هل نترك العالم قصيدة خلفنا
ماذا لو كانت أكذوبة
ماذا لو كانت هباءً
تقاطعات مخيفة
لكن المربع الذي يسقط منها
لن يرجع إلى البداية
لن يُعاد زرعه
ولن يبقى أحجية
يمكن أن يكون فقط الكلمة - الشمس
أو وثن العالم
أسميتك الوقت
أودع عندك ما أنساه
ما كان يُعدّ من الذكريات
ما صار وقتاً فحسب
أودع فيكِ ما سميته حياتي
دون أن أعرف من سلّمنيها
ومن ائتمنني عليها
أترك لك القصائد التي تصلك بيضاء تماماً
صنعتها كما يصنعون السراب والأشباح

متأملاً أن تبقى وثناً
ماذا بعد أن يستدير الجمال
بعد أن يقفّي العالم
ماذا يترك اسماً للصفر
هل يبقى المربّع في النقطة الباقية
من الوجود
هل يظل فوق الحطام
يتذكّر ما لم يعشه أحد
ربما تعود الكلمة إلى قوس قزح
ربما يعاد زرع الكائن هناك.

الألم بأرخص طريقة

تنظف أسناناً غير موجودة
لكن لا تعرف أنك غيرك
أنك هذا المار بالصدفة
ولا تحتاج طبعاً إلى بطاقة أو اسم
يمكن أن تختار اسماً لهذه الليلة
وترد رأسك المُعار غداً
لقد صنعنا أطفالاً لن يكترثوا بنا
ولن يحملوا بالطبع أسماءنا
سيستعيروننا فقط
قبل أن يفسدوا آثارنا
ابكِ، يوجد ألم حقيقي
لا يصنّع الألم لأنه نظيف
ولا آلة لصناعته
الألم بأرخص طريقة
معروض على الطرقات
لكن أيضاً في المتاحف
ستنتقل من شاشة إلى شاشة
وتتلقى الحياة في علب وضمّادات؟
نحن أحرار فقط حين ننام
حديث السهر والسأم
في زفاف دائم
والحب ينقضي عند الفجر
سيفكر ساقك
ويتكلم عضوك
ركبتك محطة وكذلك قلبك
وأنت تسافر في نفسك
ستمضي شهراً في أذنك
وتقيم شهراً؟ في فمك
وبالرسائل تطوف العالم
ستكون أحياناً جرذاً
وقد تحلم بك امرأة
هذا يحتاج إلى سحر

لكن الرعد وحده حقيقي
الأشجار يمكن صناعتها بالقلم
العشب قد يطلع من الأغاني
الألم حقيقي
وستتعذب،
حين يصل وجهك من المختبر
أو تتلقى حياتك في رسالة.

الموجة

الموجة المنتصبة وسط الماء
شاهقة وفي فمها سمكة ميتة
قبل أن تخرّ على كاسر الموج
تثب بكل قامتها الملفوفة بالضباب
رأسها الذي يطل على اليابسة
يتوقف لحظة عن الغناء
قبل أن يستدير إلى الرجال الصغار
الجالسين على موائد قصيرة
لن يخافوا من الموجة
التي تنفخ في وجوههم
لن تخاف علب السردين والخضار والأباريق
المرسومة فوق الطاولة
اليابسة تتقلّص من تحتها دون أن تدري
أنها ابتعدت
البحر لا يطمع بأقزام كهؤلاء
لقد جرف وهو يزحف من الأفق
غيلاناً هائلة وأحمالاً من الطحلب
أكل بواخر بكاملها
وقذف حيتاناً إلى البرّ
إنه صندوق هائل مليء
بكل ما ينشره الغيم
وما تطبعه السماء
هو أيضاً مليء بأشقّاء البشر
وأشقّاء الكلاب
وبقروش كسالى تحطمت أسنانها
وهي تجامع محركات السفن
لا بدّ أن النهار سيخرج نظيفاً من هذه الخزانة
سيخرج الغبار مفضّضاً
الهواء المسنون سيملأ السطح
بالأحشاء والقشور
عكاكيز وحراب لا تتقدّم في الماء
الأسماك المنتحرة تنتشر على الضفة

لا تتكلم، دع شَعر الملّاح يزداد اشقراراً
وينصل لونه
دع الليل يكمل جولته
الوحشة تصل وحدها.

عشرون عاماً

إلى ر. د.

تأخرتِ إلى نهاية المقعد
وأنا كنت أسمعكِ من الطرف الآخر
عشرون سنة من ركن إلى ركن
احتجتِ إلى كل هذه السنين
لتصلي إلى نهاية المقعد
وتروي حكاية الأيام التي أمضيتها
بين بابين
منعتِ عني شفتيك
من أجل ذلك ابتعدت إلى الأخير
هذا يتطلب أيضاً زمناً
جسدكِ على بضع خطوات
بعيد عشرين سنة عني
لن تصل يدي بسهولة إلى آخر المقعد
لن تمشي بسهولة على جلدك
البيت الذي صار لك في النهاية
هو أيضاً حجرتان
وثمة عشرون سنة أخرى
تتنقل بينهما
هناك شاي كثير
وأنت تخفين أنك تدخنين
كذلك يفعل زوّارك
الزمن يحترق بالسر تحت هذه السقيفة
الزمن بقوة عشرين سنة
رغم أنه يتنقّل فقط تحت سطحين
الكلام أكثر من الوقت والشاي
إنه صوتك الصغير بين بابين
صوتك الضعيف من آخر المقعد
المسبحة المنتصبة فوق السجّادة
والروح التي تملأ العباءة
حبستاك حتى الساعة
في علبة المكتب

منعتِ عني شفتيك
وقبلتني في حضنك
ولا أزال مع ذلك، في أول الأريكة
منتظراً أن تتحرك الساعة في الخارج
وتنقلني بقوة الدقائق القادمة
إلى الطرف الثاني
أن يبرعم بقوة الدقائق الباقية
فم في وجهك
أن تختفي في لحظة خاطفة
كل هذه الأعوام الجارية
بين مقعدين.

الكردي الصغير

الكردي الصغير
ليس صغيراً إلّا أمام البوابات
التي لا يستطيع
أن يعوي أمامها
الكردي الصغير
سقط على هذه الأرض المقطّعة
ومنذ نزل
أطبقت عليه الأشجار والطيور
ولعبت به الرياح
كان الأكراد الصغار شهيين للصخور
شهيين للحيوانات
التي التهمت نور عيونهم
التهمت أيضاً أصواتهم
وتركت حفرة مكان القلب
الذي استمرّ يغرّد أمامها
السماء التي نزلت قطعاً على الأرض
تتنادى دون صوت
الأكراد الصغار يدورون بينها كالشموع
أو ينبتون كالعشب
لكلٍّ جداره
ولكل شجرته
الأكراد الصغار يهزأون من البوابات
البوابات الشاهقة ملسوعة بضحك الأطفال
تنبح أمامهم
الأكراد الصغار الملونون كالعصافير
يطيرون فوقها
أحياناً يسقط الكردي الصغير عنها
يصطاده قناص هبط من الأثير
أحياناً يهوي عن الحافة
أحياناً يسودّ
لا يلعب الكردي الصغير أمام الصفيح
الذي يصبّ النار على كل الجهات

ولا أمام الأشجار التي هي أيضاً مسنّنة
لا يقف في وجه الريح
التي تقف منتصبة وتعوي
للبدوي الرمل
للكردي الحجر
بعد أن تطرده البوابات
كردستان كاملة بأربع قطع
تنزل من السماء
الكردي يلعب بينها
قبل أن يصطاده الصفيح
فيرقد إلى الأبد
فوق حجر كردستان كاملة بأربع قطع
العائد إلى السماء.

2018

الحقائب مرمية من النوافذ
العلب متدحرجة من الحافلة الأخيرة
المسافرون مغمى عليهم في مقاعدهم
في حين تطول خفية لحاهم وأظفارهم
القطار يتمدد في النفق
لكنه بحاجة إلى زمن
ليستطيع الخروج
عقارب الساعة متعامدة على الواحدة
لكنها تعمل بلا ثوانٍ
وبلا أرقام
لا وقت لينهي اللاعبون لعبهم
الكرة أمامهم ولا يقدرون على تحريكها
ولا رفع كأس الشاي عن الطاولة
في المقهى
لا يجد المتبطّلون القليل من الوقت
ليمرّ الصباح دون تعب
للبطالة أيضاً أمدها
لا وقت ليستطيع القلب الساكت
أن ينام
هناك زمن في الجو
يخفّ شيئاً فشيئاً
لكنه لا يستطيع أن يلحق السنة الجديدة
سيبقى راقداً تحت الأسابيع الأخيرة
راقداً ومتفرّغاً من الهواء
ستقع حقائب وعلب كثيرة من الخلف
لقد نزلت دون أن تلقيها يد
تحتاج الأيدي أيضاً إلى وقت
الانتظار لا يمنع الأظفار من أن تطول
لكنه أشبه بالقتل خنقاً
بأيدٍ صامتة
وبين عامين
انتظار يوم أشبه بانتظار خاتن
وكل يوم جديد واشٍ آخر

وهذه الـ2018 تصفّر من بعيد
أرقامها تعمل كالمحرّكات
وتقترب من شطوطنا بالمجاذيف
2018 هناك زمن في الجو وبطالة كافية
الهباء وحده يدخن في الأعلى
الهباء وحده يملأ الحقائب.

سأم

يمكن أن نستولد من السأم أطفالاً، يمكن للتعب أن يلد.

عناوين

الشباب مكتبتنا. إننا فقط هذه العناوين.

وحدة

الذين يتركوننا للطريق يعيدون لنا أسماءنا.
هكذا نستحق كامل وحدتنا.

السؤال

لا جدوى من التفتيش في أنفسنا
في العمق السؤال
الذي لم نستطع كسره.

ثلاث ريشات

ثلاث ريشات في قلبي
ثلاث شعرات على روحي
غلّة أسبوع أُخرج حوصلته وأرميها
ثلاثة خطوط مقصوفة
الأول صار دماً في رأسي
الثاني انتظار في جبيني
الثالث يوم مهجور في مكتب
أسمع كلاماً من أنف مشقوق
لا أعرف أي جرثومة تنمو فيه
بذرة مشتعلة في وجه يتيبّس
وما يسقط منها ليس سوى اسمي
محروقاً
ومكرراً
ليس سوى حظي
يعود منكسفاً أليماً.

الرفاق

يتركون كبيرهم يثرثر ويبحثون عن قوّتهم في الأزقّة.

صمت

الكلام يتزاحم عليّ بحيث لا أستطيع أن أميّزَ
كلمة واحدة
الركام لا يبدو صراخاً أو ضجيجاً
إنه طبقات لا تعد من الصمت
الصمت يتكاثف ويغدو له جسم
لغات تندمج لتؤسس صمتاً.

صباح الخير

أفكّر بامرأة أهدتني صباح الخير بعد أن أهدتني مساءً كاملاً.

حلم

اليوم نحلم ما كان علينا أن نحلمه
حين كان الحلم متاحاً.

الألم يتوسخ

الألم يتوسخ بسرعة، الهواء يحمل إليه كثيراً من الذباب.
كذلك هو الضمير.

البرد

لا أحد يستقبل العاصفة
إنها وحيدة والبرد يأكلها.

الحنين

لا أفهم الحنين، أخجل به كمرض، مع ذلك هو يقعدني. كم هو بديل وكسول ألا نستطيع أن نغادر منازلنا ومدننا، إننا نترك الحيطان تذلنا. ما الذي ندين به لحجر لم يكلمنا في يوم. ماذا نسمي الظل الذي لا يسمع وينظر من خرق في جوفه. هل نقنعه بالانتحار تحت شجرة. هل نعطي عيناً لدمية. إننا نعطي قوة لشعرة، دمعة نعثر عليها في شاي المساء. الحنين إلى الأسفل.

كثير عليّ

رسائل إلى نجلا

- 1 -

صوتك الذي تقطّع بعدما ابتعدتِ
جعلني بصوتين
أحدهما يخرج من رئتي
لقد بات مسنوناً وفي كل قطعة منه
ما كنت أخافه بعد أن صار صدرك قفصاً
وهوى على أضلاعكِ
هذه الأخوة المقسومة نصفين
والتي لا تعرف كيف يمكن لجرح أن يصير أباً
وأن يستمر أباً تحت الأحشاء
كيف يمكن لهذا الحب المهاجَم
أن يأكل نفسه
لهذا الجسد الذي غصّ بالمهدّئات
أن ينفجر دون صوت
بعد أن نزف بصعوبة في السمّاعة
بعد أن خرج بصعوبة من كومة الأحشاء.

- 2 -

جسدي كيس للأدوية وسلك للهاتف
وشباك للغريب
يدمع فوق الخشب
ودون أي قطرة يتبلّل بالدم
الذي يتكلم في السمّاعة
وبالجسد المطرود من نفسه
المعاقَب في الزاوية.

- 3 -

الكلمات التي كدستها في جيوبكِ وجواربكِ
كانت كثيرة عليكِ
لم تعرفي كيف تصير آلاماً
وكيف تتفتح في وجهكِ
كيف تصير أسراراً
وكيف تصير فوق الفهم
وأنت تكتبينها للريح وترسلينها في الأعياد
إلى نفس الكرسي ونفس الشجرة ونفس الموعد
بطاقات صغيرة لتقرأها الريح
اعترافاً دون أي كلمة
اعتذاراً بريئاً كمهجة
ذلك العمر الذي كبر على الكرسي
ولم تكبري
احتجتِ إلى حياة ثانية لتفعلي
احتجتِ إلى حضور
وأنتِ وجدتِ فقط شهوداً جارحين
تلك الشجرة التي سقطت في ريعانها عليكِ
وذلك السل الذي نهش قلبكِ
ماذا غير الربيع الدامي
ماذا غير الحفرة التي كانت في يوم أخاً وابناً
ماذا غير الصور التي تركها منتحرون
وتلك البئر التي لا تنام.

- 4 -

لسنا عائلة
إنهم يسرقون أخاً كل عام
لسنا إخوة
إننا نتناقص في كل موسم
لسنا بيتاً
لكننا نصل فقط من السفر.

- 5 -

لا تعرفين ماذا دخل إلى جسمكِ
ما الذي سقط من عينيك
كان الألم سميكاً ولم يقشّره أحد
ولم يعرف أحد ما تحته
دخل في الخفاء كجثة وانسلّ كمرئية
ولم تصرخي في وجه الموت
تركته ينام على قلبك
لم يتألم ذراعك، كان أعقل من أن يفعل
ربطوا على فمك ولم تسألي
كانت المرثية محلولة في دمك
وأنتِ محاطة بالنائحات
لم تسمعي كيف تحجّر صدرك
كم بقيتِ تحت العتبة
وكيف تقفّص بدنكِ.

- 6 -

حضرتُ ولادتكِ وفكّرت أني ولدتك
كنا صغيرين، قطعنا شوطاً معاً
وللحال ابتعدتِ
سقونا الحداد ونحن لحدناهم تحت الربيع
كانت هذه بقية العائلة
اصطادونا في أكياس
وأنتِ كتبتِ قصائدك بخيوط ثخينة
وألقيتها خارج الخيام
كتبتِ قصائدك بزيت السيارات
ورميتها خارج الخيام
لم يكن هناك من يخيطها في الوسائد
من يمتص دخانها
كتبتِها بمشابك السياج
ورميتِها في العراء
القصيدة بقيت على الحائط الملاصق
والموت بين البابين
في الدقة الثالثة حين لم يعد يُسمع الخطو
ونزل الدم إلى القاع
في الدقة الثالثة خلوتِ من عظامك
وأنا الذي صدّقت أن لا شيء بعد
سوى نقلة بين سريرين
لم أعلم أني مِتّك.

- 7 -

غيمة منفوخة تحت الشمس، جسد من فلّين

الصغيرة التي صارت شجرة، صار صيصانها عجلات وحقائب جالت في العالم. الصورة التي سقطت عن الحائط بقيت عظامها على الأرض. خرجت من إطارها ورأت العالم لآخر مرّة.

أفكر وأبكي من أجل الذين لم تعودي هنا لتبكي لهم، ستنتقل صورهم في حقائب الثياب، ولن تحملها الدموع إلى أماكن أخرى. سيطردها العراء من دنيا إلى دنيا، ومن سطح إلى سطح.

- 8 -

لم ننفصل، لكن جسداً من اثنين
ضاع في الطريق
واحداً من اثنين لم يعد جسداً
واحداً من اثنين صار دماً للساعة
وعصيراً للكتب
لم ننفصل، لم أعد شباككِ ولا نظارتيكِ
ولا أعيركِ جسدي
لتنهضي على قدميكِ إلى الحمّام
لا أعيرك عيني لبكاء قصير
لقد تركتِ أسمالاً لما بعد غيابك
وقصائد من خرق، الكلمات التي تكدست فيها لم تنقذك
لقد سرقتْ فقط دمكِ.

- 9 -

عروقي على أوراق العشب
لكن النبتة التي نمت من ذلك
لم تكن معروقة
استعجلتْ الخروج فقط
أشبهتْ كفاً لا يتألم ولا يشير
كفاً يخرج من الماء ولا يستغيث
وأنت هكذا سافرتِ وهكذا أنجبتِ
وهكذا استقبلتِ موتكِ
لم نكن جنبك لكننا متناك
الآن أعرف أن ذلك ليس بلا معنى
لقد نسينا الشِّعر
والقصيدة اليتيمة خرجت من البيت.

- 10 -

دفنتكِ كما دفنتِ أخاك، لن تعودي إلى عائلتك، ستجدينهم جميعاً هناك، لقد ماتوك من قبل، للعزاء دعوة إلى الانتحار، هكذا انتحروكِ قبل أن تلقي بنفسكِ عن السلالم، سقطوا من المعجم مع سلسلة أسماء العلم التي تبقى وحدها بعد الموت، ووحدها تبقى ككف ميت لا يتألم ولا يشير. تركوا خلفهم أطفالاً اختفوا في العراء، بقيت صورهم وأسماء العلم على الحيطان.

أنا أيضاً لا أتكلم ولا أشير. إلى متى يبقى اسم العلم، وكلما زادت سنة، انفصل أكثر عن ندمي، ولن أراوغ، هذه القصيدة أقل من أن تكفيك.

النَّخْب

يريدون أن أخاطب السنة الآفلة. ليست المرة الأولى التي يخطر فيها شيء كهذا. لعل هذه اللعبة الأدبية تحدث في نهاية كل سنة. لا داعي للقول إننا هكذا نخترع الزمن، نخاطب الزمن الغارب الذي لم نستطع إيقافه. الذي صار هكذا ملكاً لنا، لمجرد أنه مات قبلنا. صار لنا كون وصار لنا زمان. نشعر أننا نملك السلطة ونخرج لاستعراضها. نرميها كنخب. وهكذا نخرج مرة أخرى من الجنّة منتصرين على الحياة التي صارت فجأة رقماً ساقطاً، ثم يكون من قوّتنا أن نكلم السنة التي ترتجف على الحافة. لن نخاطبها بالطبع بالدموع، فنحن في هذه الساعة أسياد وأحرار من أي ضغط، وفي أيدينا ذلك النخب الذي يشبه زهرة الخلود

نحن الآن بين عامين في قطيعة وفي فراغ وفي قوس قزح وومضة تساوي النخْب ولا زمن فيها. سنكون ملوكاً في هذه اللحظة ولن نأبه. سنقول إن هذه الصحبة كانت باهظة وكانت من شوك وعضتنا دقائقها وثوانيها

سنقول إننا الآن سادة، ولن ننشغل بحك جلودنا، ولن نخدم بعد على مائدة الثواني. نحن أبناء العدم ولن نُستعبد بعد في حانة الأيام. سيقول البعض سرقتنا الأيام. أحبتنا ضاعوا بين يوم ويوم. دهستهم رؤوس السنين وسحقتهم الليالي. خسرنا بعدد الشهور وعدد الأسابيع. لم يكن هناك ثمن لذلك. لقد خُطفنا عن الطريق، قُتلنا بكلماتنا، صرنا عبيد خطانا

غَلَبتنا أفكارنا وسقطنا تحت نيّاتنا. ماذا نفعل إذا سقط الكأس، سوى أن نحطّمه على جسد السنة الميتة، سوى أن نبدله بأول صباح جديد، ذلك الذنْب سندخل به إلى أكواخنا، ونبدأ هناك خدمتنا سيكون هناك رأس آخر فوق الصخرة التي علينا أن نحملها. ستكون هناك خدمة طويلة، وستسحبنا الأسابيع جسداً وراءً إلى حيث يخف الزمن، يخف إلى ألّا يبقى فيه سوى العدم

نعود ملوك اللحظة وربما أسياد الفراغ، ولن يكون هناك أيضاً ما يقال سوى أن من يتكالمون تصلنا أصواتهم من بلاد أخرى، ومن يتذكر يعرف أن ليس هنا سوى خرخرة النهر الذي يتدفق بين القبور في جبال الماضي، حيث يقول الرقيم إننا خرجنا من الجنة.

حول الكتاب

نبذة

ليس صحيحاً أن الضحكة تشفي
وأن القهقهة تبقى تدوي في الجبل
بعد أن تنتهي الأكذوبة ويصمت المكان
إن روحاً ضالّة
تفشي الأسرار
ومزية واحدة تمزّق الستائر

قيل في الكتاب

* "أحد أبرز الأصوات التي صنعت منعطف «الحداثة الثانية» في الشعر العربي" صحيفة «الأخبار»

عن المؤلف

عباس بيضون كاتب وشاعر لبناني. تُرجم عدد من كتبه إلى الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والألمانية.

صدر للمؤلف عن دار الساقي:

في الرواية:

- ساعة التخلّي
- ألبوم الخسارة
- الشافيات
- خريف البراءة
- مرايا فرانكنشتاين
- شهران لرلى

في الشعر:

- ميتافيزيق الثعلب
- ب.ب.ب.
- بطاقة لشخصين
- صلاة لبداية الصقيع
- الموت يأخذ مقاساتنا